قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

دولتي دولة قانون

العدالـة. ككلّ شـيء في عراق اليوم. لا تُـوزّع بعدالة. والقانون لا يطبّق وفقاً للقانون!

هناك أناس يسـتقبلهم القانون بوجه عبوس قمطرير مدققاً معهم بـكلّ خطيئـة وجـرم ارتكبوهمـا، لينالـوا بعدهـا ما يَسـتحقون. أمـر محمود أن تكون للقانون هذه السـطوة، لكـنّ خطيئة وجرماً مشـابهين يرتكبهما شـخص آخـر لا تلقيان من القانـون ذاته؛ تلك الصرامة والعدالة الباردة.

القانـون انتقائيّ؟ نعـم ففي كلّ قانون. مهما كانتْ درجةُ تماسـكه. ثغراتٌ يمكن أن يفلت منها المسـيء إذا كان منفّذ القانون يريد لهذا المسيء أن ينجو بجلده. لأن قيمة كلّ شيء تتحدد بقيمة مستثمره، وأهمية كلّ نظام يصنعها القائمون عليه.

من رأى فيلم "محامي الشيطان" للمخرج "تايلور هاكفورد"، المعدّ عـن رواية "أندريو نيدرمان" وتمثيل العملاق "آلباتشـينو" لا بدّ أن يكون الحوار الذي يجري بين المحامي والشيطان قد استوقفه، لأنه حوار عميق وطريف. يسـأل المحامي الشـيطان: لماذا اخترتَ القانون ميداناً لعملك؟ فيجيب الشيطان بلهجة حكيمة: لأن القانون يملأ كلّ شـيء ويدخل في كلّ شـيء، إنه في السياسـة والاقتصاد والجنس والفنّ والرياضـة، القانون هـو العالم كله. ثـم يختتم الشيطان حواره بهذه الجملة الحاسمة: دولتي "دولة قانون".

الشيطان في الفيلم يجنّد آلاف المحامين من شتى بقاع العالم للدفاع عن أتباعه، ويخرجهم من أبشع الجرائم سالمين كما تخرج الشعرة من العجين، لكنه يترك خصـومه تحت رحمة سـيف العدالة البارد الـذي لا يرحم. إنه اسـتخدام غير عـادل للعدالة، لكـنّ ذلك كله يتم وفقاً للقانون وبآليات قانونية.

ثمة في العراق من الحوادث ما يذكرني دائماً بهذا الفيلم، أشخاص تلاحقهـم يـد العدالـة بتهـم يسـتحقّون عليهـا الإدانـة والعقوبة، وآخـرون. بالجرائـم ذاتها. يخرجهـم "القانون" مـن مآزقهم مهما كانـت مستعصـية، لأن مملكتنـا. وليسـت مملكة الشـيطان فقط. يحكمهـا القانون. وزيـر يمسـك بالجرم المشـهود نهباً واختلاسـاً للمـال العـامّ، يخـرج بكفالة قدرهـا خمسـون مليون دينـار أي ما يعادل واحداً من الألف مما اختلسه في صفقة سرقة واحدة. بينما موظف بسيط سـرق ما طالته يداه، عبستْ في وجهه العدالة، وها هو يسـمع صـوتك في السجن. شخص مشـمول بالاجتثاث تقلب عليـه الدنيا عاليها سـافلها فيمنع من الترشّـح لانتخابات البرلمان ويضـيّق عليـه الخنـاق ويترك لما يسـتحقه مـن عقوبة مسـاندته للطاغيـة زمن الديكتاتورية، وهو أمر عادل يشـفي صـدورنا نحن الذيـن اكتوينـا بنار صـدام واضـطررنا لمغـادرة العـراق عقوداً، لكـنّ بعثياً آخر مشـمولاً هو الآخر بالاجتثاث ومفصـولاً من عمله بعـد التغيير بسـبب انتمائه القديم للبعث، وله يدٌ سـوداء في قمع انتفاضـة آذار، وله مقالات في مدح الطاغية، ومتهم بالمشـاركة في تجفيف الأهوار، تأتي العدالة إليه، وتربت على كتفيه وتمسح عنه الخوف وتجعله نقيباً للصـحفيين، كلّ الصـحفيين. العدالة ليسـت عادلة، وآلباتشينو كان محقاً حين قال على لسان الشيطان الرجيم: دولتي دولة قانون!

رؤيـة عـــراقية للربيــع العـربيّ

يبـدو أن السؤال ملحّ هذه الأيام عن حدود تأثير المواقف التي يتخذها العراق في خضم متغيرات الربيع العربـي على أمنه الاستراتيجي وعلاقاتـه ودوره الإقليمي والدولي خارجياً، وعلى توازنات القوى وسلمه الأهلي داخلياً.

فلـو نظرنا إلى الخريطة المعقّدة من الدوافع المحلية والإقليمية والدولية بشأن تغيير الأنظمة العربية، ابتداء من تونس ومصر فليبيا واليمن وصولاً إلى الأزمة السورية، والانفتاح على جبهات أخرى للتغيير لوجدنا تحديات كبيرة أمام العقل الاستراتيجي العراقي أختزلها بالنقاط الآتية:

جواد الخوئي*

١- وصـول تيـارات إسـلامية معروفـة مثـل الإخـوان المسـلمين والسـلفيين إلى الحكـم في تلـك الدول مما سـيرتب احتمـالات تعمق الصـراع المذهبـي والطائفـي في المنطقة مما يزيـد في الشـد الإسـلامي – الإسـلامي، الإسلامي – المسيحي.

٢- ضـعف خـبرة الوسـط الشـعبي الـذي أنتـج الثـورات في دول الربيـع العربـي مما يتيح لمفاصـل الحكم في تلك الـدول اختراقها مخابراتياً، وهذا يطرح تحدي انفتاح الساحة العربية برمتها لتكون ساحة صراع دولي.

٣- تعـدد مسـتويات القـوى في دول الربيـع العربي وهنا مؤشـر على احتمـال تحوّل تلك الـدول إلى سـاحات لحـروب أهليـة واسـعة النطاق وميادين لتجارة الأسـلحة والمخدرات والممنوعات.

٤- رفع مسـتوى التحدي الإيراني – العربي – التركي في المنطقة يضع العراق في صميم معمعة صـراع قوى إقليمية وسـيكون في كل الأحـوال الخاسـر الأكبر فيهـا إذا ما اختارت تلك الدول تحويل الصراع إلى أرضه.

وبنـاء على ما تقدم فإن تلك التحديات المحدقة بالوضـع العراقي تفرض مسـتوى معيناً من التفاعل السياسـي وتتطلـب آليات محددة من ردود الفعل في السياسة الخارجية تنتمي إلى دراسة النتائج لا محاولة التداخل فيها.

علمـا أن التيارات الإسـلامية التـي قفزت إلى السـلطة في دول الربيـع العربـي لـن تكـون بالضـرورة محكومـة برؤية مذهبيـة، مثلما سـيكون من الصـعب أن تغامـر بالدخول في صـراع التيارات الإقليمية في المنطقة ما يتيح المجـال لاسـتقطابها نحو علاقـات ومعاهدات دائمة مع العراق.

يبقـى أن الخطـر المحـدق بالبلـد هـو مـن محاولات نقل الصـراع الإقليمي إلى مستوى مذهبي ومن ثم نقل ذلك الصـراع على الساحة العراقية.

ويمكن احتواؤه بالتداول السـلمي للسـلطة وتطبيـق نظـم العدالـة الاجتماعيـة لحـل الأزمات الداخليـة والتظلمات، وأرى في ذلك الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدي.

الجانب الديني

يجب التفريق بين الإسلام السياسي والإسلام الدينـي الذي جاء رحمـة للعالمـين، أما الأول فيعمـل كأي حـزب آخـر ويسـعى لتسـييس الديـن وجعلـه وسـيلة لغايـات شخصـية، وهنا أنوه للجميع والغرب بالخصـوص بأن ينفتـح ويتعـرف علـى المدارس والمرجعيات الدينية الحقيقية والمعتدلـة والأكاديمية التي تفصـل بين الدين والسياسة. فإذا كان صعود القوى الإسـلامية المحافظة مصدر قلق للخط الإسلامي المعتدل والوسطي، فمن المؤكد أنه سيشـكل الخطر الأكبر الذي تخشاه الأقليات الدينيـة والعرقيـة ويقلـب التغيـير في دول الربيـع العربـي إلى خريـف بـل شـتاء..ولا أخفي عليكم قلق المرجعيات الدينية والحوزة العلميـة في النجـف الأشـرف مـن الهجـرة الجماعية القاسـية للأقليات الدينية والعرقية مـن المسـيحيين والصـابئة والأيزيديـين وغيرهم من العراق..

وقد سـعت مؤسسـة الإمام الخوئي الخيرية في النجف الأشـرف بالتعاون والتنسـيق مع مؤسسـات وقيادات دينية ومدنية، مسـيحية وإسلامية للحد من العنف والكراهية والتفرقة والتشـرذم وزرع المحبة والإخاء والسلام بين بني البشـر امتثـالا لنهج الإمام علـي بن أبي طالب (ع) حيث جعل بني البشـر صنفين (إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

مقترحات

١-إن السياسـة الخارجية للدول لا تبنى على أسس العواطف والتمني بل بتحديد مسارات مصالح شعوبها، وأود أن أشير بالتحديد إلى أن مصـلحة الشـعب العراقي اليوم تستدعي دراسـة إمكانات العـراق وأسـباب الخلافات الداخليـة، وتحديـات المنطقـة، وتعقيـدات الربيـع العربي، قبل المغامـرة باتخاذ مواقف (مـع أو ضـد). وبمـا انـه يتمتـع بتعدديـة مذهبيـة سـتمنحه حـق تجنـب الانخراط في صـراع القـوى الإقليمـي وبالمقابـل الحفـاظ على علاقات طيبة مع الدول المتصـارعة، كون اتجـاه متغيرات الربيع العربي التي حصـلت والتـي يتوقـع أن تحصـل مفادهـا أن تركيبة المؤثـرات الداخليـة والخارجيـة التي تتحكم بمفاصـل حـركات التغيـير لا يمكـن أن يكون للعـراق دور في تغييرها في هذه المرحلة على الأقـل، ما يسـتدعي عمـلاً إسـتراتيجيا بعيد الأمد لفهـم تلك المتغيرات أولا، ومن ثم العمل بإسـتراتيجية تنسـجم مـع مصـالح العـراق العليا.

٢- الحـل الأمثـل لـدول التغيير هو الإسـلام الوسـطي المعتـدل الذي يؤمـن بالديمقراطية والمفاهيـم العصـرية ولم يتعارض مع حرية الـرأي وحقـوق الإنسـان واحـترام الآخـر. والبـدء بتأسـيس مجتمـع مـدني، وخير من يمثل هذا النهج هو الأزهر الشـريف والنجف الأشرف.

٣- مـن أهم مـا يبنى عليـه البلد في حاضـره ومسـتقبله هـو الدسـتور، فعليـه لا يفترض التعجل في كتابة الدسـتور والإسراع بإجراء الانتخابات في ظل هذه الظروف المضطربة. علـى الـدول الأوروبيـة أن تتعامـل من خلال مؤسسـاتها العلميـة والفكريـة والأكاديميـة عـن كيفيـة بنـاء الإنسـان العربـي ومـن ثـم المجتمـع العربـي حيـث أن الديكتاتوريـات السـابقة حطمت الإنسـانية عند الفرد العربي وخلفـت عنـده مفاهيـم العنـف والتطـرف والجهل والإحباط وبهذا وقاية لشـعوبهم من الانعكاسات السلبية للتغيير.

الخلاصة:

١- الحـركات الإسـلامية أكثرها غير ناضـج، ولم تبلـور طبيعة علاقتها مع الآخر وضـعفها باتّباع النمط الأمثل في إدارة البلد.

٢-الأقليـات العرقيـة والدينيـة هي الخاسـر الأكبر والمتضرر الأكثر من الربيع العربي كما في العراق.

٣- ثـورات الربيـع العربـي تؤثـر سـلباً وإيجابـاً - حسـب نجاحهـا وفشـلها – علـى المجتمعـات الغربية حيث يتواجـد فيها أعداد غفيرة من شـعوب تلـك الدول، منهـا الهجرة إلى الغرب.

وأخـيراً.. لا أرى أن صـعود الحـركات الإسـلامية في دول الربيع العربي كان خارجاً عن حساب الدول الغربية ومراكز دراستها.

الربيع العربي:- مرحلة حاسمة في تاريخ المنطقة

*** نائـب الأمين العام ممثلاً لمؤسسة الإمام الخوئـي الخيريـة. وهـذه مداخلتـه في "مؤتمـر الربيـع العربي" الـذي عقد في روما في ٢٩ شبـاط الماضـي بدعـوة مـن جمعية سانت إيجيدو الإيطالية.**

كراسيّ كبيرة وأخرى صغيرة

يوسف علوان

الصـراع الـذي يـدور علـى المـلأ بين سياسـيينا علـى الكراسـي الكبـيرة وامتيازاتهـا التـي لاهـمّ لهم سـواها، رغم ما يعانيه الشـعب من وضع أمني تسـوده الاختراقـات والتفجـيرات وسـوء الخدمـات ونقصـها والبطالة التـي تخيّم على شـباب البلد وتتركهم فريسـة للعـوز. وتدمـير الصـناعة الوطنيـة والزراعة التي هجرها مئات الآلاف مـن الفلاحـين بعـد أن باتت لا تسـد تكاليفهـا. كل ذلـك هـو بسـبب جهل هؤلاء السياسـيين بأمـور إدارة البلـد بالشـكل الصـحيح. وتقديمهـم مصـالحهم على مصـالح الشعب الذي انتخبهم وأوصلهم إلى هذه الكراسي. كل هـذا الصـراع نشـهده ونـراه ونلمسه كل يوم. غير أن هناك صراعا على مستوى آخر يدور على الكراسي الصـغيرة. رغم ما تعرّضـ له العراق، الـذي دمرتـه سـنوات حروب مـا قبل ٢٠٠٣، ومآسـي مـا بعدهـا، وتدمـير جميع بنـاه التحتية، وكذلك نفسـيات أبنائـه، بات هذا البلـد، وبعد أكثر من تسـع سـنوات بلـداً متخلفاً بالنسـبة لتاريخـه الطويـل، وهـو الذي شـرّع القوانين وبنى حضارة ما زال العراق يُسـمّى بهـا. ومن خـلال هـذا الركام شهدت بعض مؤسساتنا جهوداً حثيثة لتحسـين عملهـا وتقـديم الخدمـات لمواطنـي هـذا البلد. ومـع وجود هذه المحـاولات للعودة بالبلد إلى صـورته الحقيقيـة، ووجـوب الإشـارة لهـذه الحـالات بالبنـان، إلا أن محـاولات هؤلاء الناس المخلصـين لم تسـلم من أولئـك الذيـن لا يريدون الخـير لهذا البلد، وقد شهدت –لسوء حظي- حالة لعرقلـة الجهـد الحثيث لهـؤلاء الذين يسـعون لإعـادة البنـى التحتيـة كلاً لدائرتـه أو مكان عملـه، وكنت مواكباً لذلـك الجهد الحثيـث والصـبور على المصـاعب للعبـور إلى ضـفة النجاح، الجهود كانت صـعبة جداً، وبالأخص في ظروف العراق بعد ٢٠٠٣، وكانت إعـادة الدوائر، التي نهبت وفرغت من معداتهـا، لهذا العمل جهـوداً يجب أن يتذكرها الجميع.

مـا الـذي حصـل بعـد أن قامـت هـذه الدائرة أو تلك بإعادة عملها ونجاحها في تقديم ما منوط بها بشـكل صحيح وسليم؟!

اسـتبدلوا الناسـ الذيـن أسـسـوا وعملوا لإعادة هذه الدوائر.. وأبعدوا لتأتـي المصـالح الحزبيـة بأناس غير كفوئين ولا مقتدريـن.. فقط لأنهم من هـذا الحـزب أو الطائفـة أو المقربـين مـن ذلـك السياسـي أو هـذا.. وهكذا هـدم، مـرة ثانية، مـا قام المخلصـون ببنائـه وإعـادة الكـرّة مـرة ثانية.. لا لشـيء بل لعرقلة مسيرة البلد وليمنع مـن النهوض مـرة ثانيـة.. وكان ذلك بسبب الصراع على الكراسي الكبيرة بين السياسـيين المتنفذين، الذي نراه علـى المـلأ.. لكنه لا يظهـر للعيان على الكراسـي الصـغيرة.. وهو الأخطر.. لأنه أساس التخلف والفساد والفشل.

النبيذ مع السجق مطبوخاً بدبس الرمّان!

طالب عبد العزيز

في الجهـة العميقـة مـن المقهـى الفقـير، بمحلة البجـاري القديمة، وسـط العشّـار، يجلـس أدبـاء ومثقفـو البصـرة، ومعهم نخبة من متعاطـي المعرفـة وقـرّاء الصـحف مـن المتقاعديـن مسـاء كل يـوم، بعيـداً عن صـخب الجهـة الأمامية مـن المقهـى، حيـث يجلـس رواد المقهـى الآخـرون، مـن محبـي كرة القدم والدراما التركية والمصـارعة الأمريكيـة الحـرة، في الجهة هذه، هنـاك فسـحة مـن الوقـت لتأمـل مشـهد الثقافة، لا تتجاوز الساعات الثلاث حتى يحين وقت انصرافهم، كل إلى بيتـه، لأن المدينـة تفـرغ من المتجولـين، المتبضـعين وسـواهم حال هبـوط الظـلام، لتتحـول إلى مدينـة أشـباح، لا يقطنهـا سـوى المتأخريـن في عيـادات الأطبـاء، مـن المرضـى، ورجـال الشـرطة والمتسـولين. المدينة تنغلـق نهائيـا بعد التاسـعة مسـاء. وفي المسـاء، من كل يوم، أجمله الذي في الشتاء، يتكرر الحديث ذاته: (شـارع بشار، بيت باش أعيان، المقهى، السـينما، المسـرح، البـار، النـادي، الملهـى، أم الـبروم في الفجـر، الكورنيشـ ...هنـاك حديث مشـترك لا يتجاوز الحنـين إلى الفردوسـ المفقـود، وكمـا كان العديد منهـم يكيل اللعن والشـتم للنظام السـابق، متذمرين من سـلوك البعثيين في تلكم الأيام، صـار الكثـير منهـم اليـوم يتذمـر مـن ممارسـات الحكومـة الحالية، أي حكومـة، في بغداد والبصـرة، هنـاك أكبر مـن فجوة بين السـلطة المحلية والنخب المثقفة، فهي لا تفهم حاجة المثقف للحرية، بل لا تتصور معنـى الحريـة لديـه والمثقف ينظر للمسـؤول المحلـي على أنـه العقبة الـكأداء في طريق التطور والمدنية، وبين وجهتي النظر أكبر من حقيقة يتغاضى عنها أحيانا كل منهما.

كل مـا يتمنـى المثقف في البصـرة والجنوب عودته بوصـفه فردوسه المفقود يصـرُّ السياسـي المسؤول، الخـارج مـن الحاضـنة الدينيـة دائمـا، على إقصـائه، بوصـفه أداة التخريـب وعلـة الانحـلال، وهـذه واحدة من عقـد الثقافة في العراق، والجنوب بخاصـة، والمشـكلة أكبر إذ نسـمع منهـم أنْ لا صـحة لهـذه، فيما الحقائق تقـول أنْ لا أحد منهم يقبل بالتنازل للآخر، فلا المسـؤول المحلي يقبـل بعودة الحياة للأماكن تلـك، التـي شـكلت جـزءا مهما من حيـاة المثقف، الذي يرى بأن غريمه إنمـا يريـد سـحبه لمنطقتـه التي لا تتجـاوز الثقافة فيها حـدود المحلل والمحرم، الخير والشـر، الصـحيح والخطـأ... الخ، الثنائيـة المعرفية التـي تجاوزتها المعرفـة اليوم، من وجهـة نظـره. لأن الحيـاة والمدنية أكـبر بكثير من قاموسـ مغلق، هذا الذي يتأبطه المسؤول المحلي.

هنـاك شـائعة، أتمنـى أن تكـون خاطئـة، تقـول بـأن العضـو في الحكومة المحلية إذا دعي لحضـور فعاليـة، أي فعاليـة، تقيمهـا جهـة غير رسمية، اتحاد، جمعية، منظمة مجتمـع مـدني ... يسـأل السـؤال هـذا: (هل هنـاك غنـاء أو رقص أو فرقة موسـيقية؟) فإذا قيل له: نعم، اعتـذر، وإذا قيـل له: لا، اسـتجاب، ضـمن المعادلة هذه لا يمكننا تصور المشـهد الثقـافي خـلال السـنوات القادمـة، ولأن الثقافـة التي يريدها أصـحابها، كمـا يجـب هـي خـارج عناية المؤسسة السياسية منذ أكثر من ١٠ سـنوات، ولأنها (المؤسسة) لا تريـد تأكيـد الحقيقة هـذه فليقرأ هـؤلاء المسـاكين عليهـا الفاتحـة، ولكـي لا نتجنـى علـى أحـد نقول: (قبل ٣ سنوات رفعت وزارة الثقافة شعار: البصـرة عاصـمة الثقافـة العراقيـة، ومـن قبلهـا كانـت بابل وكركـوك، ترى ما الـذي تغير؟ وما الـذي سـتقدمه النجـف للثقافة، ما الذي ستقدمه بغداد والموصل؟ نحن نضحك على أذقان بعضنا. يتحدث أعضـاء في اتحـاد أدبـاء وكتـاب البصرة عن نسبة مقدارها ٢٪ فقط مـن موازنة المدينة هـي مجموع ما مخصـص للثقافـة، ووزارة الثقافة هـي أفقـر وزارة عراقيـة في كل موازنة مالية، كما يتحدث موظفون فيهـا، ومـا لدينـا مـن مهرجانـات ومؤتمـرات ثقافيـة لا يتعـدى عـن كونها تسـقيطاً لفروض حكومية، فمـا الـذي جنينـاه وسـنجنيه من مهرجانات الشعر والقصة والرواية في المربـد والمتنبـي والواسـطي والجواهـري وو إن كانـت كتبنـا ودواوينـا ورواياتنـا تطبـع في دمشـق وبيروت وعمان ونعجز عن تأمـين دور حقيقي فاعل لدار نشـر عراقية، بل أن مؤسسـاتنا الرسمية في وزارة الثقافة والجامعة وغيرها عجـزت عن تقـديم كتاب تأسيسـي واحد في المعرفة أو في الفكر؟

الكتـل السياسـية الحاكمـة والحكومـات المحليـة في الجنـوب بشـكل عـام تعمـل علـى تقـديم مشاريعها في الثقافة، ولها أجندات خاصـة لا تخـرج علـى مبادئهـا، التـي تدخـل في دائـرة افعـل ولا تفعل، ضـمن وعي ديني، مشـرعن، محسـوم، لا يخـرج عـن الطاعـة والتقديس، وهـي آليـة ومنهـج وأيديولوجيـا فيمـا تنتظـر النخب المثقفـة تخلـي الشـارع الديني عن هـؤلاء، النخب التي جـاءت، وعبر عمـر الثقافـة العراقية من حاضـنة مختلفـة، حيث ظل اليسـار العربي والحزب الشـيوعي العراقي بشكل خاصـ ومعـه النخـب العلمانيـة –الليبرالية مسـيطرا على تحريك عجلـة الثقافـة إلى اليوم، القضـية التـي تزعـج الحكومـات المحليـة، التي نجحـت وتنجح في تسـويف ومراوغة كل فعل حقيقي في الثقافة.

سعادة كبيرة ينعم فيها المسؤول المحلـي حـين يـرى العشـار نائما، وقـد أغلقـت المحال وسـدت الطرق بالشـرطة، يقابله حـزن كبير يقضّ مضـجع المثقف مشـهد خلو المدينة مـن دار للسـينما، مسـرح للدمـى، دار أوبرا، حانة صـغيرة على شـط العـرب الجميـل تجلس علـى دكتها صـبيّة نصـرانية، فارعـة الطـول تبيع فيها النبيذ بالسـجق مطبوخا بدبس الرمـان، هكـذا مثلمـا كانت تعده مـاري في بـار سـرجون قبل ربع قـرن، أيام كنا لا نكره أحداً ولا يكرهنا أحـد، أي نعم، لأن جزءاً من فهم الثقافة إنما هو النبيذ بالسجق مطبوخا بدبس الرمان

بمناسبة يوم المرأة العالمي

أحـــــمـــــر شـــــفـــــاه!

صفاء خلف

الكتابة أنثى، الحضـارة أنثى، والغنـاء أنثى، والماء أنثى، حتى الموت أنثى، والفحولة: لهجةٍ صـحراء، وقلت: (لأني آخرٍ الرجال الشرقيين/ تحترق في أنثى/ اخترت ألا أكون دمـاً للخيانـة". مجتمعاتنـا متغضـنة لا روح لهـا، فما من نسـاء تتجمل لتزدهي بها المدن، فمذ كنا وكُنّ، ونحن نطمر أنوثتهـن وراء الجلابيب، حتى صـارت البشـاعة ممهورة بنـا، فمن يُلطف القبح غير لمسـة أنويـة، فمجتمع الذكورة أنتـج لغة "خشـنة" حتى باتـت الأنوثة "عـارا اجتماعيا" بغيضا، يُغسـل بالدم، وكأن هذا الجسد الباذخ ليس سوى وعـاء تفريـغ لهمجية الفحولة، لا صـورةً شاسـعة للكون، فاللذة ليست جسدا، إنما حشد الماء والفراشات والعطر في القوام المتغنج وهو يرسم خيطاً من النار إلى الأمل. لم تكن العرب تأتمن سـرها النسـاء، لكن تأمنها الرغبة. فالمتخيل العربي لم يكن يداري شهوته وراء الحيطان في ظل انفتاح صـحراوي شاسع. وعندهم إن للمرأة لعنة لا يستقيم معها ظفـر ولا هيبـة، فالديـن البـدوي أعطاهـم منعـة الرجولة "المقدسـة" ضـد الأنوثة المارقـة، في الزواجـات الأربعة لإشـباع همجيـة الجنس. و لا تبين عصـمة الرجولة إلا في سـتر الدنس الأنثوي، ولعل ما يحـوّل الاعتقال التاريخي للأنثـى العربيـة إلى نكتـة بشـعة، أنهـم حين تمكـن منهم التمـدن وغلب الأتكيت على الجفوة، صـاروا إلى إخصـاء رجالات أشد جلداً منهم ليكونوا خداماً لبغاياهم "العفيفات المصونات"!!.

والسؤال المشرع كجرح أنثى، هل يلغي الإخصاء الرجولة؟، أتحدد الرجولة بالذكورة؟، و يصـير ذكر الرجل بأخصـائه قطعة لحم زائدة لها مهمة تفريغية ليس إلا؟!

فالجسـد الرجـولي مـن يشـعل خيـال النسـاء الجنسـي، مـن يثـوّر تلك الرغبـة المدونـة خلف سـتارة مـن براقع و حجابات، فهم يسـروا عليهن المخادع و المضـاجع، وأحلوا لهن المساحقة الذكورية، و أعطوا الضوء الأخضر للمخيلة أن تتحول لمهرجان جسـد ملون. فما صـانت العرب شرفها، إلا بكثـير مـن الاسـتمناء السـري حضـارياً وتاريخيـاً، فصارت الحاضـنة مشبعة بالهوام الجنسـي بدل إشباعها بالعفـاف الشـرقي البدوي. المروق الأنثوي كان المشـتهى، وسـبيل الرياسـة، فـإن كنـت صـاحب الحظـوة الأولى، فلأنك شـريف مخدع، وغير هذا، فَعلّيـة القوم لا تغمض له عـين إلا في أحضـان جواريهم الحسـان. و لما كان للأنوثة قوتها في شـرخ "الرجولة العربية"، عصـبوا أجسـادهن بالسـواد واسـتباحوا رغبتهم سـرا، فكل النساء العربيات مغتصبات بامتياز، فما صورة الاستباحة إن لم تكن زواجا وراء حجاب. عدائيـة متواتـرة، مختزنـة، مفخخة بالنص المقدس والاجتهادات، تتمرحل وفقاً لانتكاسـات الذكورة في حروبهـا وصـراعها، تسـتعرض قوتهـا المغلولـة على الأنوثة في تعبير عن عقدة عار متلازمة خلفت مواطن تلف تاريخية لم تهدأ منذ الوأد حتى غسـل العار بسكين مطبخ. ولأن الدم، أرخص منتج عربي بماركة مسـجلة عالمياً، فهو يعالـج الفشـل بالقسـوة، وكأن مـن هـدم صـورة الفارس العربي المنتصـر دوماً بالضـرورة الإلهية، لا يجملها سوى دم البكارة والأعناق المحلاة بالياسمين.

وتنأى الذكورة العربية بنفسها دوما، عن ارتكاب الخطيئة، و أن النسـاء هن مـن يجبرنهم عليها، فالعرب لا تسـتطيع الفـكاك من عقدة "الشـرف" التي أحالت حياتهم الجنسـية إلى مغامـرة سـرية ماجنـة، فـكان الجنس فروسـية النبل العربـي في ترهيـب الأنوثـة العربية المغتصـبة. وبرهانا، ما جاء في سـورة يوسـف في القرآن، حيـث راودت امرأة العزيـز "يوسـف" للقاء جنسـي عابـر، فرفض، فـكان ذلك منطلقا مهمّا في أن تحبس الذكورة أنفاسها خشية أن تدنس "هيبتها" على يد امرأة، لم تخلق إلا لإشباع أنا الشهوة. ما يعيب حقـا، أن النظرة الدونية للمـرأة رغم التاريخ المدني للعـالم ما زالت تتربع في العقول، حتى التطرف بات سـمة بائنة، فتطبيـق الشـريعة حين يراد له أن ينتشـر كالنار في الهشـيم، لا يجد أرضـا خصـبة، غـير المرأة، رصاصـة في الرأس، تطبق الخناق على المجتمع، سـوط المحتسـب على جسـد رائـق شـفيف، تصـفع العقل وتقيـده وتحيلـه إلى مجـرد رأسـ في قطيع، فرضـ الجلباب والبرقـع، فمفهوم الشـرف لا يخرج عن الفهم المأسـور للجسـد. وكأن جمالية المـرأة "عورة" لا تسـتقيم معها ثقة. ومن المعيب أيضـا، أن الثقافة العربية، تتعارك على منطقة السـطوة، والضـحية أنثى، فإمـا أن تتجلبب وتقتل أحاسيسـها، أو تتعرى على الشاشـات وتصير سلعة مستهلكة قابلة للعرض والطلب، لا أجد فهماً حقيقيا لحرية المرأة، تلك الحرية المطلقة المرهونة بالوعي الحقيقي لذاتها، لا ذلك الوعي المصبوب والمنتج من قبـل الرجل، فالمرأة لهـا الحق الكامـل في أن تنتج خطابها طبقا لحاجاتها ومتطلباتها، لا يمكن لنا أن نحدد لها حدوداً للفهم أو للحرية، فالحرية بالنهاية هي صرخة أنثى.